

إشكالية المرجعية الدينية في الفكر السلفي : دراسة ميدانية مقارنة بين الفكر السلفي التكفيري والفكر السلفي العلمي

بن عطية حاج ميلود

أستاذ مساعد " أ ". جامعة معسكر

مقدمة:

تعتبر الظاهرة السلفية من المواضيع التي استقطبت العام والخاص في الآونة الأخيرة، وغذت تولى اهتمام الباحثين ليس في المجال الديني فحسب وإنما في جميع المجالات وخاصة في العلوم الاجتماعية والعلوم الدينية. سنتطرق في هذا المقال إلى إشكالية المفهوم " السلفية " عند السلفية التكفيرية والسلفية العلمية، وسنتطرق أيضا إلى إشكالية المرتكزات التي تعتمد عليها السلفية بنوعيتها (التكفيرية والعلمية) .

اعتمدنا في بحثنا الميداني على تقنية الملاحظة بالمشاركة كتقنية أساسية في هذا البحث ثم كانت المقابلة كتقنية مكملتها فيما بعد، اعتمدنا على تقنية " الملاحظة بالمشاركة " في بداية الأمر وأخفينا هويتنا كباحثين ، وحتى نندمج في المجتمع البحث أقمنا عينة البحث على أننا نريد أن نعرف " المنهج الصحيح لمعرفة الله وعبادته عن علم وليس عن جهل وبالتالي وهذا يستوجب علينا طرح أسئلة حول المفهوم والمرتكزات ...، حتى أصبح المسلم الذي ينحوا من عذاب الله باعتبار أنكم أنتم الفرقة الناجية " وانتهجت هذه الطريقة حتى أكون مقبولا في مجتمع البحث، "فالملاحظة بالمشاركة تعني أن يكون تعني أن يكون الملاحظ مشاركا، أي يجب عليه أن يكون مقبولا حتى يستطيع أن يندمج في الجماعة إلى حد أن ينسى دوره كملاحظ، ولكن يبقى حاضرا كفرد ما، وأكثر من ذلك فالملاحظة بالمشاركة لا تتطلب الشعور بالانتماء إلى الجماعة المدروسة، وإنما مشاركة هذه الجماعة في نشاطاتها اليومية⁽¹⁾

هذه الهوية التي أقمنا بها مجتمع البحث " على أنني أريد عبادة الله على المنهج الصحيح " جعلتني استفسر عن كل شيء فيما يتعلق " المفهوم " والمرتكزات " الذي هو موضوع المقال، ثانيا جعلتني أن أجمع المعلومات التي كنت أود الحصول عليها بدون صعوبة تذكر، بل هم من كانوا يرشدوني إلى المراجع والكتب التي هم مقتنعون بها .

وما ساعدني أيضا هو تمركز مجتمع البحث إلى مساجد مختلفة، فالسلفية التكفيرية تركز في حي ليسكور وهو حي شعبي في مسجد ابن تيمية ، والسلفية العلمية تركز بحي مسجد أسامة بن زيد، وهو حي شعبي أيضا بوهران.

وقضيت ثلاثة أشهر في كلا المسجدين أي الفترة الزمنية كانت 6 أشهر، دامت فترة الزمنية للبحث، فالباحث " قد يكون ملاحظا مشاركا أو أن يكون مشاركا ملاحظا، ولكن معظم الأبحاث، ولكن معظم الأبحاث الأنثروبولوجية تعتمد على الدور الأول فمثلا : قامت Gene Shelley (1992) بدراسة الأفراد الذين يعانون من أمراض القصور الكلوي، فقضت مئات الساعات في مركز طبي لتنقية الدم من المواد السامة، تلاحظ وتسمع وتساءل وتتحدث حول كل جوانب حياة المبحوثين ، فلم تقدم نفسها على أنها ممرضة، ولا تعرض نفسها لمثل هذه الفحوص فقامت بدور الملاحظ المشارك⁽²⁾، كما ترى مادلين قراويز (Madleine Grawitz) أن "الملاحظة بالمشاركة تعني أن يكون الملاحظ مشاركا، أي يجب عليه أن يكون مقبولا حتى يستطيع أن يندمج في الجماعة إلى حد أن ينسى دوره كملاحظ ولكن يبقى حاضرا كفرد ما .

وأكثر من ذلك فالملاحظة بالمشاركة لا تتطلب الشعور بالانتماء إلى الجماعة المدروسة، وإنما مشاركة هذه الجماعة في نشاطاتها اليومية⁽³⁾

عينة البحث:

عينة البحث كانت مقصودة، حيث اخترنا العينة التي تؤمن بأفكارها وليس مجرد تتبع منهج بدون أن تعلم عنه شيئا، وقد أفادتنا المرحلة الاستطلاعية ن حيث تعرفنا على الأعضاء الذين يؤمنون بأفكارهم سواء ذات توجه السلفية العملية، أو ذات التوجه السلفية التكفيرية، حيث تم اختيارنا 10 أفراد من السلفية التكفيرية ، و 10 أعضاء من السلفية العلمية .

ولكن الملاحظة التي أود ذكرها، أنني لم أتطرق إلى ذكر أجوبة الباحثين كلهم في آن واحد نظرا للتطابق إجابتهم في المعنى، فعلى سبيل المثال : يرى الباحث رقم (08) : " أن السلف هم رجال عرفوا الله فقدره حق قدره وعرفوا الدنيا فعافوها، وتوجهوا إلى الله الواحد الصمد، السلفية هم من يدقون بابه لنيل رضاه ، تاركين اللعب واللهو يلهثون وراء الدنيا الفانية، وفي نفس السياق يقول الباحث رقم (02): " أن السلفية هم من يقول فيهم الله في كتابه العزيز رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا "، فالسلفية هي باختصار قال الله قال الرسول "

ويقول الباحث رقم (01): "السلفية هي تحارب الخزية، وهي المنهج الحق "، ويقول الباحث رقم (06): "السلفية هي ما وصى به سيدي الحبيب النبي عليه أفضل الصلاة والسلام ابنته فاطمة حينما قال لها نعم السلف أنا لك أي ابتياع منهج النبي "، ويقول الباحث رقم (06) : " أن السلفية هي ما كان عليه النبي في المأكل والمشرب والمنشط والمكره، والغضب والفرح " وفي نفس السياق يقول الباحث رقم (09) : " السلفية هي جماعة اهل الحق وتبذ البدعة ، هي تنتسب إلى المنهج الحق " ويقول الباحث رقم (10) : " أن السلفية هي لا تجيز الخروج عن الحاكم ولا تدعو إلى ثورة وهي تصلح ما أفسده "

" وبالتالي نظرا للتشابه أجوبة الباحثين حول السؤال: ما معنى السلفية؟ " فاخترت الأجوبة التي تتصف بالعمق وقوة الطرح، حيث أن الباحث رقم (04) والمباحث رقم (05) والمباحث رقم (07) والمباحث رقم (03)، إجابتهم كانت ملمة بالموضوع وفيها مادة معلوماتية مهمة لي للتحليل.

وهذا الأمر ينطبق على جميع الأسئلة المطروحة .

سنتطرق في هذا المقال إشكالية المرجعية في الفكر السلفي، حيث هناك إشكالات تفرق هذا الفكر فالسلفية العلمية ترى منهج الإخوان المسلمين منهج باطل ، اما السلفية التكفيرية ترى منهج الإخوان منهج سني بل وتعتبره مرجعية لها. ثم السلفية العملية ترى السلفية التكفيرية هم ليسوا سلفيين هم خوارج، أم السلفية التكفيرية ترى السلفية العلمية هم مرجئة، ثم كل واحدة تدعي الأحقية في استنباط " السلفية " .

أ- منهج الإخوان المسلمون بين القبول والرفض في الفكر السلفي :

1-1 الإخوان المسلمون في ميزان السلفية العلمية: ترى السلفية العلمية ، بأنهم(السلفية التكفيرية) جروا على الأمة الإسلامية الويلات يقول الباحث رقم(07): " السيد قطب، وحسن البنا يعتبران من بين أقطاب الفكر الإخوان جروا البلاءات على الأمة " .
تعتبر السلفية العلمية أن سيد قطب وحسن البنا ومنهج الإخوان لا يمت للمنهج الحق(السلفية العلمية)بصلة – يقصدون بالمنهج الحق – منهجهم – ، وفي هذا الصدد يقول الباحث رقم (03) : " إن أفكار " إخوان المسلمون أفكار مجرد خزعبلات وتميز بإثارة مشاعر وعواطف العوام وليس لها صلة بدعوة الحق، فأسلوب سيد قطب أسلوب استفزازي، يجلب القارئ بما يهيج مشاعره الدينية فقط وخاصة إذا كان من الشباب الذين يندفعون في غير روية إلى دعوة الداعي باسم الدين ويقبلون ما يوحى إليهم من أهداف ، ويحسبون أنها دعوة الحق الخالصة لوجه الله والأخذ به سبيل الجنة " .

ويحكم مباحث آخر على السيد قطب وحسن البنا بأنهم دعاة إلى الله وليسوا علماء، واشتملت دعوتهم على الكثير من الأخطاء يقول الباحث رقم:«(06): " يجب أن ندرك أولا : أن مجال الدعوة إلى الله ليس مقتصرًا على العلماء فقط فكل من له العلم الشرعي ما، يمكنه من تبليغ هذا (الشرع) الدين ، فعليه بالدعوة حسب رصيده العلمي، فمن هذا الأصل نقول أن سيد قطب وحسن البنا رحمهم الله داعيان إلى الله تعالى ، كما أنهما قدما للمسلمين أشياء كثيرة تنفعهم وأشعر المسلمين بوجود العودة إلى الله وإلى الإسلام، لكن هذا شيء، والقول بأنهما عالمان شيء آخر ، فالرجلان ليس عالمان، وليست لهما العصمة، وبالتالي لهم أخطاء غير مقصودة في مجال الدعوة، فنحن نرحم عليهما لأنهما مسلمان " .

وفي هذا الصدد أيضا يقول الباحث رقم(01): "اعلم وفقك الله لطاعته، أن سيد قطب الأديب هو رجل أديب وشاعر ومفكر وليس هذا رجل ممن يأخذ عنهم في علم الشريعة كالتفسير، القرآن، والسنة الصحيحة وغيرها من علوم الكتاب والسنة (هذا أولا) .

سئل سماحة الشيخ عبد العزيز ابن الباز عن سيد قطب :

فقال " مسكين ضايح في تفسير " مجموع فتاوى ابن باز (جمع محمد بن سعد الشويجر) . فهو بمنزلة الجرح كما هو مقرر في أصول علم الرجال في الجرح والتعديل، وهو يكفر المجتمعات بالجملة وهذه كتبه موجودة ومطبوعة وبينه على مدعي ، قال السيد قطب رحمه الله في تفسيره " ضلال " " إنه ليس على وجه الأرض اليوم دولة مسلمة ، ولا مجتمع مسلم قاعدة التعامل فيه هي شريعة الله والفقهاء الإسلامي " جزء الرابع صفحة ، ص21-22.

وهكذا في غير موضع من كتاباته، وقد شهد على فكره التكفيري " أحد منظري الإخوان المسلمون في العالم: الشيخ يوسف القرضاوي " في هذه المرحلة ظهرت كتب الشهيد سيد قطب التي تمثل المرحلة الأخيرة من تفكيره والتي تنضخ بتكفير المجتمع... ويتجلى ذلك وأوضح ما يكون في تفسير "ضلال القرآن" في طبعته الثانية وفي معالم في الطريق" ومعظمة مقتبس من الضلال وفي الإسلام ومشكلات الحضارة" كتاب أولويات الحركة الإسلامية - صفحة 110. قال تعالى " وشهد شاهد من أهلها " ، وهناك ردود الشيخ المحدث أحمد شاکر على فكر سيد قطب مطبوع ضمن مجموع مقالات الشيخ أحمد شاکر ذلك في الخمسينيات القرن الماضي، فكتبه تدعو إلى تكفير والخروج على الحكام فضلا عن طعن وجحود في الأحاديث والصفات الباري جلي وعلى. نسأل الله السلامة والعافية .

وعلى هذا فالسلفيين يحدرون من كتبه وما فيها ما يصاد عقيدة أهل السنة والجماعة وهم لا يكفرون السيد رحمه الله، وهذه كتبهم موجودة مطبوعة ما فيها تكفير الشيخ، وإنما تحذير وهدمها فتأمل وفقك الله.

أما السيد حسن البنا مؤسس حزب الإخوان فهو رجل سياسي مئة بالمائة وليس ممن يعرف عليه علم أو سمات أهل العلم ، وهو صاحب مقولة " فلنعمل فيما اتفقنا عليه وليعذر بعضنا بعضا فيما اختلفنا فيه " أخذ من مجموع رسائل حسن البنا، وكان يقصد علماء زمانه أهل الحديث : كالشيخ أحمد شاکر ومحمد آل الشيخ والألباني.

قال الشيخ عبد العزيز ابن الباز رحمه الله: " أما عذر بعضنا لبعض فيما اختلفنا فيه فليس على إطلاقه فما كان من مسائل الاجتهاد التي يخفى عليها فالواجب عدم الإنكار فيها... أما من النص من كتاب والسنة فالواجب الإنكار على من خالف النص".

قال الشيخ بكر بوزيد رحمه الله: هذا تعيد حادث فاسد إذ لا عذر لمن خالف في قواطع الأحكام في الإسلام فإنه لا لإجماع المسلمين لا يسوغ العذر ولا التنازل عن مسلمات الاعتقاد" "مأخوذ من كتاب حكم الانتماء ". ومما يطرد دعواه أيضا ما قاله في الاجتماع الذي حضره مع لجنة مشتركة أمريكية - بريطانية: قال: والناحية التي سأحدث عنها نقطة بسيطة من الوجهة الدينية لأن هذه النقطة قد لا تكون مفهومة في العالم الغربي ولهذا فأني أحب أن أوضحها باختصار " فأقرر أن خصومتنا لليهود ليست دينية لأن القرآن الكريم حضي على مصافاتهم ومصادقتهم والإسلام شريعة إنسانية قبل أن تكون شريعة قومية ، وقد أثنى عليهم وجعل بيننا وبينهم اتفاقا " و لا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن " .

قال الشيخ عبد العزيز ابن الباز عندما عرضت عليه هذه المقالة : " هذه مقالة باطلة خبيثة، اليهود من - أعدى الناس للمؤمنين هم ، هم من أشر الناس ، بل هم أشد الناس عداوة للمؤمنين من الكفار. كما قال تعالى " لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا " فاليهود والوثنيون هم أشد الناس عداوة للمؤمنين وهذه مقالة خاطئة ظالمة قبيحة منكرة ، على قائلها أن يتوب إلى الله ويرجع إليه سبحانه وتعالى ويندم على هذه المقالة السيئة " . راجع كتاب " دعوة الإخوان المسلمون في ميزان الإسلام " وكتاب " نقد قاعدة نعمل فيما اتفقنا عليه ، وليعذر بعضنا بعضا فيما اتفقنا فيه " الشيخ حمد بن إبراهيم العثمان وفقه الله ، فهو كتاب قيم ونصح بقرآته لما عليه تقريرت مجموعة من علماء أهل السنة والجماعة منهم الشيخ المحدث المدينة المنورة " عبد المحسن العباد البدر .

قال العلامة الشيخ محمد بن صالح العثيمين -رحمة الله- قرأت تفسيره-يعني: ضلال القرآن لسيد قطب لسورة الإخلاص، وقد قال قولاً عظيماً فيها مخالفاً لما عليه أهل السنة والجماعة حيث إن تفسيره لها يدل على أنه يقول بوحدة الوجود.

وقال المحدث الألباني - رحمه الله-: " نقل سيد قطب كلام الصوفية ولا يمكن أن يفهم منه إلا أنه يقول وحدة الوجود " ، وكتب - رحمه الله - بخط يده على فاتحة كتاب العواصم مما كتب في سيد قطب من القواصم "للشيخ ربيع بن هادي المدخلي - حفظه الله، هذه العبارة "كل ما رددته على سيد قطب حق صواب، ومنه يتبين لكل قارئ مسلم على شيء من الثقافة الإسلامية أن سيد قطب لم يكن على معرفة بالإسلام بأصوله وفروعه، فجزاك الله خير أيها الأخ (الربيع) على قيامك بواجب البيان والكشف عن جهله وانحرافه عن الإسلام"⁽⁴⁾

ونشر في المجلة السلفية العدد السابع عام 1422هـ، ص 64 يقول محمد قطب- "إن الأمر يحتاج إلى الدعوة الناس من جديد إلى الإسلام، لا لأنهم في هذه المرة ، يرفضون أن ينطلقوا بأفواههم ، لا إله إلا الله محمد رسول الله، كما كان الناس يرفضون نطقها في الغربة الأولى، ولكن لأنهم- في هذه المرة - يرفضون المقتضى الرئيسي : لا إله إلا الله" وهو تحكيم شريعة الله" انتهى. نقلا من كتاب واقعنا المعاصر .
أقول: هذا تكفير للحماهير بالجملة، وإلا كيف يحكم بأنهم رفضوا حكم الله، وكيف يشبههم بالجاهلية قبل- الإسلام ؟ دون تفصيل أو استثناء للدين يحكمون شريعة الله وليس لهم دستور إلا كتاب الله (5)

أما حسن البناء حين قام بالدعوة في مصر تابعة على دعوته عشرات الألوف بل مئات الألوف لكننا لم نسمع أنه شرط على أحد ممن دخلوا في حزبه أن يتخلى عن عقيدته السابقة سواء كانت شركية خرافية أو جهمية تعطيلية أو معتزلية تنقي القدر وتقول بخلق القرآن وتجدد رؤية الله في الآخرة أو غير ذلك لم نسمع ولم نقرأ في كتبه أنه قال لأحد منهم لا تدخل في دعوتنا حتى تتخلى عن عقيدتك السابقة. (6)

وترى السلفية العلمية نفسها صاحبة الحق وهي الفرقة الناجية، وترى نفسها أصابت ومنهج الإخوان أخطأ في أمور وهي:
1- "العناية بالتوحيد: وجعله أساسا للدعوة عند السلفيين على طريقة الرسل- صلوات الله وسلامه أجمعين، أما الحزبيون فإنهم لا يعتنون به، ولا يرفعون به رأسا، ولا يجعلونه أساسا لدعوتهم، ولا منطلقا لها.

2- إنكار الشرك: كبيره، صغيره ، والتحذير منه، والإخبار بنكره، وأنه من الموبقات الكبار وأن كبيره مخرج من الملة موجب للخلود في النار، أما الحزبيون فهم بخلاف ذلك، فهم يتغاضون عن الشرك الأكبر، ويسكتون عنه بل فعله كبارهم ، ولم يروه منكرا.

3- مصدر التلقي عند السلفيين هو الله ورسوله: ممثلا في كتاب الله، وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم فهم يقدمون ما جاء عن الله، وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم على قول كل أحد وتوجيهه. أما الحزبيون: فهم يقدمون قول أئمتهم على الوحيين تحسينا للظن بهم ، وغلوا فيهم ، ولا بد أن يؤكد ذلك بمثال : فمثلا قول حسن البناء: "تعاون فيما اتفقنا عليه ، ويعذر بعضنا بعضا فيما اختلفنا فيه" هذه القاعدة تعارضت مع كتاب الله ومع سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فالله تعالى يقول: "كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله" والنبي صلى الله عليه وسلم قال: " كلا والله لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر ولتأخذن على يدي الظالم ، ولتأطرنه على الحق أطرا ، ولتقصرنه على الحق قصرا " رواه أبو دواد ، وغيره ومن تأمل في الحزبيين وما هم عليه يرى أنهم يتعبدون بالبدع ، ويتكبرون السنن مهما نبهوا إليها ، فالمقدم عندهم قول مؤسس الحزب ، ومنظريه ، وإن خالف كتاب الله ، وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم فدعوة الرسل جميعا إلى التوحيد ، وهم يدعون إلى خلافة الرسل ، والحزبيون يدعون إلى خلافة . (7)

4- الرسول صلى الله عليه وسلم حذر من الخروج على الولاة، ومناعتهم وهم يبيحون ذلك، وإن تستروا، أما الكلام في الولاة، والتشهير بهم على المنابر فحدث ولا حرج..

5- السلفيون يحرمون الغناء، وهم يبيحون ممثلا في الأناشيد الصوفية التي يسمونها الأناشيد الإسلامية ظلما وعدونا، والمهم: أن الفوارق بين السلفيين ، والحزبيين كثيرة في الولاة والبراء ، وغيره ، وبالله التوفيق " (8)

وقد ترجم الشيخ المغراوي رئيس جمعية الدعوة إلى القرآن والسنة في المغرب التعاليم القاضية بالتصلب في وجه المخالفين في وصفه لسيد قطب وجماعة الإخوان المسلمين قائلا : قطب هو أحد المنحرفين الذي خرجتهم مدرسة الإخوان ما بين داعية على تكفير المسلمين، وما بين داعية التقريب بين الكفر والإسلام، وما بين داعية إلى التقريب بين الروافض والسنة ، وكلهم أجمعوا على محاربة المنهج السلفي المبارك، وأما سيد قطب فقد جمع أعظم السيئات وقوع في الأنبياء والرسل ، ووقوع في صحابة رسول الله .. ووقوع في الحلول. (9)

أما بالنسبة لعقيدته في الصفات فقد وقع في التأويل، ويضيف: " فانظر رحمك الله على هذا القلم النتن، كيف يصف صحابيين جليلين بالركون على الكذب والغش والخديعة والنفاق (يقصد معاوية وأبو عبيدة الجراح في موقعة الصلح مع علي) .. بالله عليك أيها القارئ كيف تفلح دعوة تقف مثل هذه المواقف المخزية تجاه الدعوة المحمدية.. زيادة على أنها غارقة في أحوال الحزبية والبدع المقيتة ، وكل ما لهذا الرجل من الطامات والبلايا العقدية .

فمن مبادئ السلفية (العلمية) أنه " لا يجب ذكر محاسن أحد من أهل المبادئ الهدامة والمشبوهة من مضللين وبدعيين وخرافيين وحزبيين، لأننا إذا ذكرناها فإن هذا يغمر بالناس، فيحسنون الظن بهم فيقبلون على مبادئهم ويكون ثناؤه أشد من ضلاله (1)، فالسلفية العلمية تهتم بكلمة التوحيد قبل توحيد الكلمة.

1-2 - الإخوان المسلمون في ميزان السلفية التكفيرية :

أسس السلفية التكفيرية مبينة على منهج " الإخوان المسلمون "وبالأخص السيد قطب ، وهي تعتمد على أفكاره في الشأن السياسي مثل : الحاكمية ، الحكم على جاهلية المجتمع من خلال سلوكياتهم وتصرفاتهم .

يقول المبحوث رقم(03) وهو يصف أوضاع البلد أخلاقيا، تربويا : "اليوم راهم (إنهم)" عاريات عاريات، مشي كاسيات عاريات ، الفتنة راهي بزاف، شوف الكفار غلاوا المعيشة ، تبغي تتزوج تلقى مشاكل ، كل شي غالي، الحليب ، الماكلة غالية، بصح لو كان تبغي تزني باطل ،يميل سانك تزني ، كثرة العنوسة ومشى غير العنوسة Mème كثروا العاهرات راهي صاري فتنة كبيرة، شوف الشراب راه يدبر دوميل deux mille يعني اللي غير لي ما بغاش يشرب ، ليق نخدموا بكل ما أوتيت من قوة في سبيل إعلاء كلمة الدين " . يشبه هذا المبحوث المجتمع بأنه تفتت فيه كل المظاهر الجاهلية:التبرج ووصفه بالعاريات، كثرة الزنى، والعاهرات كثرة شرب الخمر ، وهذه الأفكار "قطبية" بالدرجة الأولى،فالسيد قطب في كتابه المعالم يقول"إن العالم اليوم يعيش في جاهلية كالتي عاصرها الإسلام أو أظلم، كل ما حولنا جاهلية، تصورات الناس وعقائدهم، عاداتهم وتقاليدهم موارد ثقافتهم ، فنوهم آدابهم، شرائعهم، وقوانينهم ، حتى الكثير مما نحسبه ثقافة إسلامية ومراجع إسلامية وتفكيراً إسلامياً. هو كذلك من صنع الجاهلية، وتدخل في إطار المجتمع الجاهلي تلك المجتمعات التي تزعم لنفسها أنها مسلمة.."⁽¹⁰⁾

ويقول المبحوث رقم(01) وهو يصف السيد قطب " السيد هو اجتهد ولكن أخطأ خاصة في مسائل العقيدة وإنما في التفسير يعتمد على ابن كثير ، ونحن لا نقول فيه إلا كما قال فيه الألباني: هذا في الأصل أديب وعادة الأدباء يتناولون الدين بطريقة تجعلهم يقعون في الأخطاء، ولكن هذا لا يعني أنه السيد قطب هو سبب الصحوة الإسلامية " وبالتالي تعترف السلفية التكفيرية، بأن مسائل العقيدة أخطأ فيها السيد قطب، بل وتستشهد بالشيخ الألباني الذي يعتبر من شيوخ الكبار في " السلفية العلمية"، ولكن تعتبره أن تفسيره مستمد من تفسير ابن كثير، وبالتالي تطابق أفكار سيد قطب مع فكر السلفية التكفيرية بل وتراه سببا في الصحوة الإسلامية .

فالسلفية ذات الاتجاه التكفيري تهتم بتوحيد الكلمة قبل كلمة التوحيد، وتعتبر أقطاب الإخوان المسلمون من من مرجعيتهم الأساسية كعبد الله عزام ، وفي هذا السياق يقول المبحوث رقم (01): " شفت الكتاب نتاع عبد الله عزام " مجاهد كبير " هذاك أصله من فلسطين ، راح عند الجيش القسام قاهم علاه راكم تجاهدوا قالوا له غير هاك، قاهم صح ، راح إلى سوريا، ومن بعد راح لأردن حكموا عليه بالحبس ، ومن بعد مین خرج راح إلى أفغانستان بقي يحارب حتى اللي مات هناك " .

هذا المبحوث يكشف عن تأثير المرجعية-السلفية التكفيرية-بالفكر الإخوان صراحة، حيث يعتبر عبد الله عزام من بين أقطاب فكر الإخوان المسلمون ، وهم متأثرين بكتاب السرطان الأحمر، وهو عبارة عن كتاب يرى فيه المؤلف خطر الإتحاد السوفيتي ووجوب المسلمين التصدي له في أفغانستان ، وفيه يرى بان العالم الإسلامي يمر بمؤامرة خبيثة من الغرب وإسرائيل .

يظهر تبان واضح بين السلفية العلمية والسلفية التكفيرية، فالسلفية العلمية ترى الإخوان المسلمون والسيد قطب منهج ضال وعقيدة فاسدة تحذر الشباب الإسلامي من التأثر بمبادئه ، أما السلفية التكفيرية ترى الإخوان المسلمون والسيد قطب سبب في بروز الصحوة الإسلامية بعد عصور طويلة من الانحطاط .

ب- أ- رواء السلفيات "العلمية، التكفيرية" إلى منهج بعضهما البعض:

1-1 السلفية التكفيرية في ميزان السلفية العلمية هم "خوارج":

ترى السلفية العلمية ليس هناك ما يسمى بالسلفية التكفيرية بل هؤلاء هم خوارج ونسوا إلى السلفية بمتانا وزوا، في هذا السياق يقول المبحوث رقم (07): " في الحقيقة أن هذه المصطلحات ليست من لا يعرف حقيقة هذا المنهج بل من لا صلة له بالسنة أصلا، يتلفظون الألفاظ ويخلطون الأوراق ويضربون الحق بالباطل في ظنهم أن كل من أرحى لحيته وقصر ثيابه ورفع شعار ابتغى فيه بالتدين فهو سلفي، والحق الذي لا مرية فيه أن السلفية لا تدعو إلى ثورة ولا تكفر أحدا من المسلمين، ولا تستجيز الخروج على الحاكم، بل السلفية تدعو الناس إلى الحق وبالتالي هي أحسن، تصلح ما أفسده الناس، تعالج قضايا المجتمع بالشرع الحنيف تأخذ بيد الضائع التائه إلى بر الأمان، أما الفئة الأولى، والتي سموها بمتانا وزوروا بالسلفية ووصفوها بالثورية، فلا تمت بالسلفية بأدنى صلة بل هم إلى الخوارج أقرب نسبة وإلى لتكفير

نصيبهم الأوفى يجرضون الناس على حكامهم يكفرون كل من له صلة بالحاكم ويبيحون دمائهم، يؤججون نار الفتنة بين المسلمين يفسدون ولا يصلحون"

يقول الشيخ محمد بن العثميين -رحمه الله تعالى- الله، الله في فهم المنهج السلف الصالح في التعامل مع السلطان وأن لا يتخذ من أخطأ السلطان سبيلاً لإثارة الناس وإلى تنفير القلوب عن ولاة الأمور فهذا عين المفسدة وأحد- وأحد الأسس التي تحصل بها الفتنة بين الناس ، كما أن مليء القلوب على ولاة الشر والفتنة والفضوى، وكذا مليء القلوب على العلماء يحدث التقليل من شأن العلماء ، وبالتالي التقليل من الشريعة التي يحملونها ، فإذا حاول يقلل من هيبة العلماء، وهيبة ولاة الأمر ضاع الشرع والأمر لأن الناس إن تكلم العلماء لم يتقوا بكلامهم وإن تكلم الأمراء توردوا على كلامهم وحصل الشر والفساد⁽¹¹⁾

ودائماً في هذا السياق، يقول المبحوث رقم (08): " المنهج السلفي واحد لا يتجزأ ، كما أن الحق واحد ماذا يقصد بثورية، هل حمل السلاح والخروج لقلب الأنظمة ؟ يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: "ليس منا من حمل علينا السلاح"، "لا يجوز الخروج على ولاة الأمور وشق العصا إلا إذا وجدوا منهم كفر بواح عند الخارجين من الله فيه برهان ". إذن السلفية العلمية . ترى أن من يكفر الحاكم ويدعو إلى الثورة ضده، ويخرج عن أنظمتها فهو خارجي تكفيري وليس سلفي، فالسلفية منهجها يقوم على عدم حمل السلاح بين المسلمين، وعدم شق العصا عن الحاكم، ولا يكون إلا بقاعدة "ظهور كفر بواح" مثل: رمي القرآن الشريف في المرحاض، أو إعلان كلمة الكفر صراحة، ويرى الألباني-رحمه الله - في ذم السلفية التكفيرية "فهي دعوة سياسية خارجية تسير على نفس خطى حسن البنا والمودودي وسيد قطب، وتدعو إلى نفس أصولهم من الثورة على الحكام والمظاهرات والانتقالات، وإن كانت لهذه الأصول الخارجية قد اختلفت قليلاً حاولت أن تلبسها لباس السلفية وتبشها عن طريق دعاة كانوا من قبل معروفين عند الناس بأنهم من السلفيين فلذلك كان خطر هذه الفرقة بالغاً خلفاء أصحابها (12)

والعلماء هم أهل لأن يروا الكفر البواح لو وجد، لأن العالم هو الذي يميز الحق من الباطل، لذلك أنكر الله التسوية بين العالم وغير العالم فقال: "هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون، وإنما يتذكر أو لوا الألباب"⁽¹³⁾

في هذا السياق يقول المبحوث رقم(01): ".. ليس هذا بصحيح: السلفية واحدة وهم أهل الحديث والأثر وهم المصلحون والمحققون للعلم، أصحاب الجرح والتعديل، وهذا العلم الذي هو "الجرح والتعديل" من خصائص هذه الأمة الإسلامية، بل من خصائص هذه الدعوة المباركة السلفية الإصلاحية، أما السلفية ثورية: فليس هناك سلفية ثورية بل نسميهم كما سماهم النبي صلى الله عليه وسلم والسلف رضي الله عنهم أجمعين باسم "الخوارج والبيغاة"، هذا هو الصواب في تسميتهم أي ثورين بالخوارج والبيغاة ، واعلم رحمك الله . أن كلمة سلفية ثورية هي من أعداء الإسلام كالمستشرقين وكتاب علمانيين وغيرهم من الذين لم يعرفوا حقيقة الإسلام ودعاة السلفية النقية الإصلاحية، وعليه نسمي الأسماء بمعانيها ومصطلحاتها الشرعية، وهذا أمر مهم لا بد أن نتنبه إليه وفقك الله للخير. قال الشيخ العلامة أصولي الفقيه: مشهور بن حسن آل سلمان قال وفقه الله "كتاب" معركة الاصطلاحات".

"والعجب لا ينتهي في هذا الزمان، ولكن نحن نعيش في زمان اختلطت فيه المفاهيم، وأصبحت فيه معركة في الاصطلاحات، وغر الناس الألفاظ والأسماء وكاد الناس - إلا من رحم ربي أن ينسوا الحقائق وإنما العبرة بالحقائق لا بالمسميات كأنك تقول هذه الورقة بيضاء سوداء ، فالبيضاء مع السواد لا يمكن أن يجتمعا أبدا ، فلما تقول سلفية تكفيرية فهذا وصفان لا يجتمعان أبدا ، لأن السلفية لا يحكمون أهوائهم ولا يحكمون قول أحدا في التكفير... "كتاب سلفية النقية وبراءتها من الأعمال الرديئة، ص28 طبعة دار الفرقان الجزائر العاصمة، وقال وفقه الله صفحة 40 مرجع سابق. هل يجوز أن نطعن في الإسلام بسبب هذه الفعال ؟ الجواب: لا لماذا ؟ لأن من أراد أن يتكلم في الإسلام فينبغي أن يحاكم الإسلام بمبادئه ونصوصه ولا ينظر لأفعال أبنائه.... وهذه فرية بلا مرية، توطأت عليها وسائل الإعلام منذ زمان بقومهم: سلفية جهادية، سلفية تكفيرية".

إذن السلفية التكفيرية هي في الأصل خوارج وبيغاة وهذا الاسم سماهم به النبي محمد صلى الله عليه وسلم على حسب السلفية العلمية، أو هو من إنتاج المخابر العلمية التابعة للمستشرقين والعلمانيين وغيرهم من الذين لم يعرفوا حقيقة الإسلام، والدعوة السلفية الصحيحة هي دعوة إصلاحية.

ثم يستدل بآيات بعالم من علماء المشهورين مثل: حسن آل سلمان، إذا يرى أن السلفية التكفيرية مصطلح غريب إذا لا تلتقي

المفاهيم مع بعضها البعض ، فالتكفير والسلفية هم مصطلحان متنافران، لأن منهج السلفية الحققة ويقصد بها بالعلمية بعيدة كل البعد عن التكفير والأهواء، ويرى أن من يقول أن هناك سلفية تكفيرية هو يطعن في دين الله، فالسلفية العلمية بريئة من كل المسميات الجهادية والتكفيرية، ويرى أن وسائل الإعلام متوطأة في نشر هذه المفاهيم المشوهة للسلفية الحققة " السلفية العملية" .

2-2: السلفية العلمية في عيون السلفية التكفيرية هم " مرجئة ":

ترى السلفية التكفيرية أن السلفية العلمية بعيدة تماما عن المنهج السلف الصحيح، فالسلفية العلمية هم في حقيقة الأمر "مرجئة" وهي تندرج ضمن المؤامرات الغربية التي تحاك ضد الإسلام والمسلمين، وهي عبارة عن خدعة هدفها ضرب الصحة الإسلامية، وفي هذا السياق يقول المبحوث رقم (01): " هذه الفكرة" يقصد بها السلفية العملية (متى جاءت؟ جاءت لما رأوا الناس تندفق على بيوت الله، لم تصدهم الملاهي وبيوت الزينة عن المساجد، ولا تصدهم المخامر وبيوت الدعارة عن بيوت الله، صحة كبيرة، عامة، شاملة، التجأ إليها الناس، إذا كان ولا بد من صد هؤلاء الشباب عن بيوت الله، أما يقولوا لهم علاه راكم تعيوا في نفوسكم تدخل المسجد، وتشقى في سبيل الله وتفعل وتفعل، وتعمل للدين لماذا؟ أنت في الجنة حتى ما تصلي، ما تصوم، هذه الفكرة الأصلية هذه الطائفة منهم: والقصد منه تعطيل الجهاد، تعطيل شريعة العالمين " .

فالسلفية العلمية في عيون السلفية التكفيرية هم مرجئة، يرى هذا المبحوث أن السنوات الثمانينات عرف فيها العالم الإسلامي صحة الإسلامية على يد الإخوان المسلمون، اعتنقها الشباب وملئت المساجد بعدما كانت خاوية على عروشها، وتدفق الآلاف من الشباب على الذكر والإقبال على الله، وترك الحانات وبيوت الدعارة، ونظرا لهذا الإقبال المتزايد إلى طريق الحق في نظر هذا المبحوث، فكر الغرب وأعداء الدين لخلق نموذج من التدين تمثلت إستراتيجيته في ضرب الصحة الإسلامية عن طريق إحياء فكر الإرجاء القائم على فكرة أن أركان الإيمان: قول . اعتقاد . عمل ولكن العمل هو شرط كمال أي عدمه لا يقتضي العدم - وهذا يعتبر من مسائل الإيمان سنتطرق إليها لاحقا، إذن السلفية العلمية في نظر السلفية التكفيرية هي مشروع هدفه الأساسي ضرب الإسلام ومخبط غربي الغرض منه ضرب الصحة الإسلامية التي شهدتها العالم الإسلامي في سنوات الثمانينات .

وفي نفس السياق يقول المبحوث رقم (01): " هذا الفكر، سمو أنفسهم زورا وبهتانا بالسلفية، فلان ابن فلان السلفي، ومحمد بن محمد الأردلي، وزيد بن عمر ما أدري ايش وغير ذلك، لا تركوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى، وبيانات والدعوي ما لم تقم عليها بيانات ودعاوي فأصحابها أديعاء، مخالفة هؤلاء في المنهج سلف فاضح وواضح، أولا: في المعتقد، عقيدتهم عقيدة المرجئة، ثانيا: التشهير بالناس والظعن في أعراض الناس، استحلال الأعراض شابهوا الخوارج ، الخوارج استحلوا الدماء ، وهؤلاء استحلوا أعراض العلماء، حججوا وأعرضوا الأحاديث النبي عن أعراضهم .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم" كل مسلم على مسلم حرام دمه، ماله، عرضه " .

وقال أيضا" كفى بالمسلم إنما أن يحقر أخاه المسلم" .، هذه النصوص وضعوها وراء ظهورهم مما أخذوا قول النبي صلى الله عليه وسلم: المسلم من سلم المسلمون من يده ولسانه " .

ترى السلفية التكفيرية، أن السلفية العلمية فيها مخالفات شرعية مثل موضوع التزكية، يقول الله في كتابه العزيز " يا أيها الذين آمنوا لا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى"، ويرى أن السلفية العلمية لا تملك الدلائل الشرعية على صحة نسبها إلى السلفية الحققة، فهم ليس سلفيين هم أديعاء لها، ويرى أن عقيدتهم عقيدة إرجاء، هدفهم التشهير بالناس والظعن في أعراضهم .

والسلفية التكفيرية، ترى نفسها أنها هي السلفية الحققة، وتعب عليها مهاجتها للعلماء، ومحاربة الدعاة إلى الله والاهتمام بالمظاهر فقط، وفي هذا السياق يقول المبحوث رقم (01): "هما يقولوا حنا سلفية، أنا سلفي، أنا سلفي ضد السلفية نتاع المرجئة ، المرجئة يكذبوا، اللي يتجاروا مع الخيان (السراق) نتاع البورتبلات، اللي يبيعوا الكاسيتات نتاع التجريح والتشريح، وتقطع في مدينة الجديدة، اللي حاسبين دير عبادة وقطع في العلماء ، دير اللحية وما فعل ما تشاء، طرطق الناس وديلهم دراهمهم، وغتب ونهب، هادوا اللي يجاربوا العلماء، ويجاربوا الدعاة إلى الله، واحد قال لي ما نقاتلوش مع صدام قلت له علاه ؟ قال لي : كافر قلت له أمريكا مسلمين (بصيغة التهكم)" .

إذن السلفية التكفيرية في عيون السلفية العلمية هم خوارج، والسلفية العلمية في عيون السلفية التكفيرية هم مرجئة، وكل واحدة منهما ترى نفسها هي من تتبع السلف الصالح وتنفي عن الأخرى سلفيتها .

وهكذا فكرة "السلفية" بعدما كانت في بداية التسعينات فرقة متينة، موحدة غير قابلة للنقاش، وكان ينظر إليها كأنها "دين" وليس "فرقة دينية" الآن، أصبحت تنتقد حتى من ادعيائها، وهذا لأن السلفية ليس مرتبطة بتدين وإنما مرتبطة بزمان، أي نحن سلفية سواء رضين أم لم نرضى، أي نحن الآن خلف لسلف، وسنصبح سلف لخلف بحكم الزمان، وليس بحكم الأعمال، وبالتالي الدلالة "السلفية" مرتبطة بالزمان وليس بالأفعال وبالتالي عندما ارتبط التدين بالزمان ليس بالأعمال .

الخاتمة:

من خلال ما سبق نرى أن منهج السلفي لا ينظر إلى مسألة الإخوان المسلمين بعين واحدة، بل بعيون مختلفة ومتناقضة تناقض صريح، والسؤال المطروح: إذا كانت السلفية العلمية أسست نظرتها إلى مسألة الإخوان المسلمين على أساس الكتاب والسنة والسلفية التكفيرية أسست نظرتها على أساس الكتاب والسنة، وبالتالي يتضح جليا أن كلا سلفيتين (العلمية والتكفيرية) نظرة إلى منهج الإخوان المسلمين من زوايتهم الفكرية والتفسيرية على أساس أيديولوجي .

والسلفية العلمية ترأى السلفية التكفيرية مرجعيتها الأساسية ليست الكتاب والسنة بل هي لا تمت بالكتاب والسنة بشيء بل هي فرقة قديمة ظهرت في التاريخ وهي فرقة "الخوارج"، أما السلفية التكفيرية فهي تنظر إلى السلفية العلمية على أنها فرقة قديمة ظهرت في التاريخ وهي فرقة "المرجئة"

وهكذا أصبح الفكر السلفي - وهنا أقصد الفرق وليس المصدر "الكتاب والسنة" - يعاني تفككاً أيديولوجي رهيب ناتج على حسب اعتقادي بسبب فشل المثقفين والمفكرين في خلق بيئة متينة بين الثنائيات المختلفة "الدولة/ المجتمع،" "الحاكمية والسلطة"، "النخبة بين المثقف العضوي والمثقف التقليدي .

الهوامش:

1. مولاي (الحاج مراد)، مكانة التحقيق الميداني في الدراسات الأنثروبولوجية وقائع الملتقى أي مستقبل للأنثروبولوجيا في الجزائر" مركز البحث في الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية، تيميمون 22-23-23-23-نوفمبر 1999. ص 27 .
2. مولاي (الحاج مراد)، وقائع الملتقى أي مستقبل للأنثروبولوجيا في الجزائر" مركز البحث في الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية، ص 27 ، نفس المرجع السابق.
3. مولاي (الحاج مراد)، مكانة التحقيق الميداني في الدراسات الأنثروبولوجية، وقائع الملتقى أي مستقبل للأنثروبولوجيا في الجزائر " مركز البحث في الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية، تيميمون 22-23-23-23-ص 27 نفس المرجع السابق .
4. (صالح بن عبد الله آل فوزان)، لأجوبة المفيدة عن أسئلة المناهج الجديدة، الفوزان ، دار المنهاج، القاهرة 2003 . ص 42
5. 2 (صالح بن عبد الله آل فوزان)، لأجوبة المفيدة عن أسئلة المناهج الجديدة، مرجع سبق ذكره ، ص 56، 35
6. 3 النجمي (أحمد بن يحيى) ، المورد العذب الزلال ، مكتبة الأصاله ، المملكة العربية السعودية ، 2003 ، ص 138
7. النجمي (أحمد بن يحيى) ، الفتاوى الجلية عن المناهج الدعوية ، دار المنهاج ، القاهرة - مصر ، 2004- ، ص 37
8. النجمي (أحمد بن يحيى) ، الفتاوى الجلية عن المناهج الدعوية ، دار المنهاج ، القاهرة - مصر ، 2004- ، ص 39
9. 3 أبو اللوز (عبد الحكيم)، تصلب الأديولوجيا السلفية الجديدة، إضافات المجلة العربية لعلم الاجتماع، العددان الثالث والرابع -صيف وخريف 2008، ص 101.
10. الخطيب (معتز) ، سيد قطب والتكفير أزمة أفكار .. أم مشكلة أفكار ؟ مكتبة مدبولي ، القاهرة ، مصر 2009، ص 108.
11. باز مول بن سالم (محمد بن عمر) ، المد ارج في كشف شبهات الخوارج، دار الاعتصام، بدون سنة ، ص 16
12. بن عثمان المصري (محمد) التفجيرات والأعمال الإرهابية والمظاهرات، هي منهج الخوارج والبياعة وليس من منهاج السلفي الصالح، مكتبة المحجة البيضاء جمهورية مصر العربية ، 2005 ، ص 54 .
13. السحيمي (عبد السلام بن سالم بن رجاء) ، فكر الإرهاب والعنف في المملكة العربية السعودية ، مصدره -أسباب انتشاره - علاجه ، دار المنهاج ، 2005 فكر الإرهاب والعنف ، ص 176 .

المراجع المعتمد عليها :

- 1- الخطيب (معتز) ، سيد قطب والتكفير أزمة أفكار .. أم مشكلة أفكار؟ مكتبة مدبولي ، القاهرة، مصر 2009، ص 108.
- 2- السحيمي (عبد السلام بن سالم بن رجاء) ، فكر الإرهاب والعنف في المملكة العربية السعودية ، مصدره - أسباب انتشاره - علاجه ، دار المنهاج ، 2005 .
- 3- النجمي (أحمد بن يحيى) ، المورد العذب الزلال ، مكتبة الأصاله ، المملكة العربية السعودية 2003 .
- 4- النجمي (أحمد بن يحيى) ، الفتاوى الجلية عن المناهج الدعوية ، دار المنهاج ، القاهرة - مصر ، 2004
- 5- باز مول بن سالم (محمد بن عمر) ، المد ارج في كشف شبهات الخوارج، دار الاعتصام، بدون سنة .

6- بن عثمان المصري (محمد) التفجيرات والأعمال الإرهابية والمظاهرات، هي منهج الحوار والبيغة وليس من منهج السلفي الصالح، مكتبة المحجة البيضاء جمهورية مصر العربية ، 2005.

7- السحيمي (عبد السلام بن سالم بن رجاء) ، فكر الإرهاب والعنف في المملكة العربية السعودية ، مصدره - أسباب انتشاره - علاجه ، دار المنهاج ، 2005 فكر الإرهاب والعنف .

المقالات:

1- أبو اللوز (عبد الحكيم)، تصلب الأديولوجيا السلفية الجديدة، إضافات المجلة العربية لعلم الاجتماع، العددان الثالث والرابع -صيف وخريف 2008 .

2- مولاي (الحاج مراد)، مكانة التحقيق الميداني في الدراسات الأنثروبولوجية وقائع الملتقى أي مستقبل للأنثروبولوجيا في الجزائر " مركز البحث في الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية، تيميمون 22-23-23-، 1999 .